«الجوهرود» في فكر جهاد نعمان

لطالما اصبنا بغثى ما ارسله د. جهاد نعمان في عديد كتبه من فكر وفلسفة وطروحات شتّى... فتارة نتأمّل الرحابة ومراسمها، وطورا نبعث في مواقف واجبة، كثيرا ما دعانا إليها. لكن اصعب واجمل ما تولّه فلسفته ادّعاؤنا شروحات تُحاول فيها مباضعنا إلتقاط انفاسها.

لفتني في فكر نعمان منحى فلسفة توفيقية لمتطرفين هما الجوهر والوجود وتتجسّد في الجوهرود.

علم الكائن ميّز بين مبدأين اساسيين: الجوهر والوجود.

الجوهر Essence هو ما نحن عليه من كينونة (فلسفات الثورة ص.٢٢١). يعتبر الجوهر ان كل شيء مرتبط بمطلق ما او مبدا ما او إله...انه تفكير تأمّلي تنظيري (مقابلة له في جريدة «الجريدة» الكويتية). اما الحقيقة فهي في التجربة الذاتية الفردية الخاصة والملموسة لواقع الإنسان الملتزم او في الوجود.

بحسب كيركغارد يدرك الإنسان نفسه وواقع وجوده ويؤلف هذا الواقع مصلحته المطلقة (حاشية الفضلات الفلسفية ص.٢١١). واجمل غايات الوجود شغف الإيمان الذاتي الإرادي الوجودي نحو الله.

كذلك غبريال مرسال حامل لواء الوجودية المسيحية تأثر بكيركغارد وسعى إلى إختبار وجود الأنا، حين يتبدى الوجود للوعي بالتجربة، وابتغى إحقاق كرامة الإنسان وفهم الآخر ومحبته. المحبة غاية الوجود وما على البشر إلا ان يتبادلوها وان يعيشوا معا حتى الموت. بنزعة تفاؤلية اعتبر مرسال ان الإيمان بالرب يبدّد المآسي لا محالة.

الوجودية بشكليها المؤمن مع كيركغارد وياسبرز ومرسال... والملحد مع هايدغر وسارتر... طرحت في الصميم مسالة الوجود ومحورية الشخص كردّة فعل على العقلانية فمن يفكر ما هو إلا الموجود؛ الذي يفكر لديه وجود والوجود يطرح بالتزامن مع الفكر (فلسفات الثورة ص.١٥١).

ثم ما لبث ان طغى موضوع الجوهر والوجود على فكر د. كمال الحاج فانزله دراسة تغمرها انوار الحقيقة وتشرح تناقض الفلاسفة بين من اكّد على اسبقية الجوهر ومن نادى باسبقية الوجود. لكن بالنسبة إليه على الجوهر ان يتجسّد في الوجود. الجوهر هو العام والوجود هو الخاص. الجوهر سماء والوجود ارض. فلا سماء بلا ارض ولا ارض بلا سماء. بينهما تجاذب. كل منهما كائن في الآخر، متجلٍ في الآخر. واي فصل بينهما يؤدي بنا إلى الياس وما إليه. بذلك برهن الحاج في كتابه الجوهر والوجود... فكره التوفيقي كوحدة وجودية.

د. جهاد نعمان لم يألُ جهدا في نصرة هذه القضية الفلسفية، فطرح معضلة الفلاسفة؛ حيث الجوهر يستبق الوجود ومن العسير التاثير في هذا الجوهر من حيث هو مجرد عقلي، والوجودية المؤمنة المرتكزة على الأنا من حيث هو البداية والنهاية ومفاعيل تاثيره على المفاهيم فغدا الوجود سابقا للجوهر وليس العكس، فنحن نوجد ثم نفكر (سفير السلام... الجريدة الكويتية).

الفرق بين الجوهر والوجود هو الفرق بين اللاهوت والفلسفة، بين الإيمان والدين، بين العقائد والممارسات، بين الروحانيات والعقل...

من استلهامه الوجودية المسيحية حدّق نعمان في عين الحقيقة ليجد فيها ماهيتها فاجتذب الله إليه من خلال ابتغاء رضاه فهو لا يامره ولكن يمكنه اجتذابه في خلق الأسباب الآيلة إلى شعوره بالرّضا في عقر داره فيه (انظر فلسفة الصمت ص.٢١).

بين الألوهية والأنسنة، بين الفداء والخلود، بين الكمال وطلب محبة الآخر... تشكّلت غاية الجوهرود. لا محالة جوهر الحقيقة في الله فيتلازم الجوهر والوجود، الحقيقة والواقع، فجوهر الله ان يتوجد (فلسفات الثورة ص.٢٢١،٢٢٢).

غاية الجوهرود هي ايضا تركّز على اهمية الفلسفة والحاجة إليها في العالم العربي «لنعيد النظر في اوضاعنا، في قيمنا، في حقوقنا، في نكباتنا، في تخلّفنا... الفلسفة اداة لبناء العالم العربي من جديد تبعا لمفاهيم جديدة» (فلسفات الثورة ص.٤١).

كما على الفلسفة العربية ان تكون متنوّعة وشاملة وان تعتمد على الكائن لبناء و«ابتكار القيم» (فلسفات الثورة ص.٦٣) وليس على تغييبه. علينا الاعتماد على العقل من جديد فنكرمه ونروحنه كي لا يبدو جرثومة حروب مستمرة؛ ودليلنا عجزنا عن إبادة «جراثيم الطمع... والأنانية...» وإزالة «الفروق الدينية والعنصرية...» (فلسفات الثورة ص.٩٨) و«تقدير الكرامة البشرية ومعانيها» (فلسفات الثورة ص.٢٦) ومحو التطرّف والحقد...لأجل الحق والجمال والسلام والمحبة «التي هي اساس كل كينونة وكل تقدّم» (فكر ومواقف ص.٧٦).

على الإنسان العربي «ان يعي تقرير مصيره بنفسه وتقرير المصير يعني ان الإنسان قادر على ان يكون ذاته، ان يصير ذاته. ولا يمكنه ان يصير ذاته من غير ان يكون ذاته. هذا هو منطق الحاضر الوجودي» (فلسفات الثورة ص.٢٢١،٢٢٢).

هذا من بعض ملامح الجوهرود النعماني وفكره الفلسفي التوفيقي، علّنا نصل إلى ما ابتغاه نعمان بين البشر حيث العلاقة مع الله هي العلاقة بالآخر (انظر فكر ومواقف ص.٤٥)، فيقف موقف شيلر حين قال «إني لا ارى عيون الآخر بل إني اراها تراني» فهل مع نعمان نبلغ ما نريده وما يسعدنا؟!

نجات سنجب